

٥- باب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله

أ- وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ . الآية [يوسف : ١٠٨].

أي باب وجوب فضيلة الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لأنها أختها .

فمراد المؤلف الدعوة إلى التوحيد وإلى اتباع الرسول وهذا واجب على العلماء وفرض عليهم .

وهذا أخذه المؤلف من الكتاب والسنة كقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ ، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ .

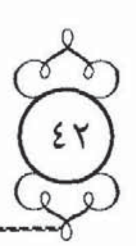
فالواجب أن يدعو العلماء إلى توحيد الله والإخلاص له وترك الإشراك معه وإلى الإيمان بالرسول ﷺ وتصديقه واتباع ما جاء به وترك مخالفته .

أ- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ الآية .

الخطاب للنبي ﷺ ولأمته .أي: قل هذه طريقتي ومحجتي التي أنا عليها من توحيد الله والإخلاص له وإيتاء الزكاة وغيرها . وهذا هو سبيل الله وصراطه المستقيم وهو الإسلام والهدى والإيمان .

﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾: لا إلى ملك أو حظ أو مال أو شأن من شئون الدنيا بل إلى توحيد الله واتباع شرعه .

﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾: على علم وهدى .ومن اتبعني : أي أتباعي كذلك يدعون على بصيرة .فأتباعه هم أهل البصائر والعلماء الذين يدعون ودعوتهم على بصيرة، ومن لم يدع إلى سبيل الله من العلماء فليس من أتباعه على الحقيقة .فأتباعه لا يسكتون ولا يدعون على جهالة كما قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ



ب - عن ابن عباس رضي الله عنهما : «**أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب . فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**» .

وفي رواية : «**إلى أن يوحدوا الله - فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم . واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[٣٩] . أخرجاه .

بِالْحِكْمَةِ﴾ أي بالعلم وهذه هي وظيفة الأنبياء كلهم والعلماء والصالحين وهذا هو الواجب على من عنده علم ويدعو في كل مكان في المسجد وغيره ويصبر .

ب - حديث ابن عباس أن رسول الله لما بعث معاذا إلى اليمن قال...

«**قال له**» : أي أوصاه .

«**إنك تأتي قوما أهل كتاب**» : أي فليسوا جهالا بل عندهم علوم وشبه ، فنبه ليستعد لهم وليبلغ لهم أمر الله .

قوله : «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**» : أي لا تلتفت الى شبههم وعلومهم بل بلغهم التوحيد وإلى أن يوحدوه وأن يخصوه بالعبادة دون غيره كالعزير وعيسى وأحبارهم ورهبانهم . وفي رواية (عبادة الله) وهي تفسير لشهادة أن لا إله إلا الله .

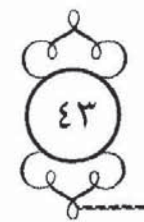
قوله : «**فإن أطاعوك لذلك**» : أي أخلصوا العبادة وتركوا غيره .

قوله : «**فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات ...**» هذا يدل على أن المشرك يدعى أولا إلى التوحيد فإن أجاب دعي إلى الصلاة فإن أجاب

---

(٣٩) **صحيح** .

رواه البخاري (١٣٩٥ وأطرافه) ومسلم (١٩) .



ج - ولهما عن سـهل بن سعد ﷺ : أن رسول الله ﷺ قـال يوم خيبر : «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ،**

وأقامها دعي إلـى الزكاة التي تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء . وذكـر الفقراء هنا يدل علـى أنهم أهم الأصناف ، لذلك بـدأ بهم في الآية : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ** ﴾ .

قوله : «**فإن أجابوك فإياك وكرائم أموالهم**» : أي لا تأخذ الأموال الثمينة عندهم بالقوة بل الوسط -لأن الأمـوال : كريمة و متوسطة ولئـيمة- إلا إن طابت نفسه بالكريمة فهو أفضل لهم .

«**واتق دعوة المظلوم**» : أي احذر أن تظلمهم فيدعون عليك فتصيبك دعوتهم . ودعوة المظلوم مستجابة .

وإنما اقتصـر هذه الأمور الثلاثة لأنها أهم الأمور ،ومن أجاب إليـها أجاب إلى ما سواها من الحج والصوم وغيرها لأنهم إذا استـجابوا للأمور الثلاثة المتقدمة فإن إجابتهم عن إيمان وقناعة وهذا الإيمان يدفعهم إلى بقية الشرائع .

ولذلك اقتصر عليها القرآن ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ...**﴾ ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ .

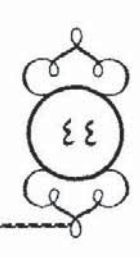
وفي الحديث : «**أمرت أن أقـاتل الناس حتى ...**»[٤٠] فالأصول الثلاثة هذه هي الأم .

ج - ولهما عن سهيل بن سـعد أن رسول الله ﷺ قال : «لأعطين الراية غدا رجلا . . . وخوض الصـحابة في من يعطاها وتمنيهم لها لأن الرسول عـيه الصلاة

---

(٤٠) **صحيح .**

رواه البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢٠) من حديث عمر ﷺ بلفظ : « **أمـرت أن أقاتل الناس حتى يقـولوا لا إله إلا الله ،فمن قالها فقد عصم مـني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله** » واللفظ للبخاري .



يفتح الله على يديه . فبات الناس يدوكون ليلتهم ، أيهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها . فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه فأتي به فبصق في عينيه ، ودعا له ... فبرئ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: انفذ على رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» (٤١). يدوكون ، أي : يخوضون.

والسلام ذكر تعيين أن هذا الرجل بعينه يحب الله ويحبه الله ففيها زيادة فضل ومزية ولذا قال عمر : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ .

قوله: «**فبرأ**» : فيها من علامات صدق النبي عليه الصلاة والسلام.

وهي آية من آيات الله الدالة على قدرته العظيمة.

قوله : «**على رسلك**» : أي على مهلك .

قوله : «**بساحتهم**» : أي بقربهم ليكون أشجع للمؤمنين وأرهب للأعداء.

أما البعيد فيضعف الجند ويشجع الأعداء .

قوله : «**ثم ادعهم إلى الإسلام**» : ولو كانوا قد دعوا من قبل من باب إقامة الحجة وكمال المعذرة ، وهذا يدل على أنه ينبغي الاهتمام بالدعوة والحرص عليها قبل القتال ولو كانوا قد دعوا لعلهم يهتدون . ويستحب التكرار إذا دعت الحاجة خاصة من اليهود الذين يعرفون الحق ولكنهم يحبون الدنيا ويحسدون المؤمنين .

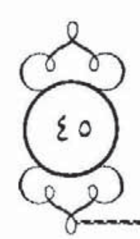
قوله : «**ففتح عينه**» : منقبة أخرى لعلي رضي الله عنه .

قوله : «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك..**» فيه عظم الدعوة إلى الله وأنها أهم من القتال بل هي المقصودة من القتال ولذلك بعثت الرسل .

---

(٤١) **صحيح**.

رواه البخاري برقم (٢٩٤٢) ومسلم (٢٤٠٦) .



. . . .

قوله : «**حُمْر النعم**» : بضم الحاء وسكون الميم جمع أحمر . لا بضم الحاء والميم جمع حمار فليس مراد هنا . والمعنى أي خير لك من الإبل الثمينة . وفيه بيان أهمية الدعوة وتعليم الناس ، فإن أبوا قوتلوا ليكف شرهم ولا يكونوا عقبة في طريق غيرهم إلى الإسلام ويستعان بهم وبأموالهم في سبيل الله .

قوله : «**لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك**» : لا مانع من أن يعم الحديث حتى المسلم العاصي .

ويجوز أن يباغتهم بالحرب إن بلغتهم الدعوة كما أغار النبي ﷺ على بني المصطلق[٤٢] وإن تكررت الدعوة قبل القتال للمصلحة فلا بأس . وفيه جواز القسم وإن لم يحلف لتأكيد أمر ، وقد يشرع ويستحب عند الحاجة لتأكيد أمر حتى يعلم المخاطب أنه حق .



(٤٢) **صحيح**.

رواه البخاري (٢٥٤١) ومسلم (١٧٣٠) وفيه أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون . . . . الحديث ، من حديث عبد الله بن عمر .

